المحاضرة التاسعة: النظام الإعلامي الليبرالي

1. الجذور التاريخية للنظرية الليبرالية

إن هذه النظرية تعود بشكل أساسي إلى عصر النهضة الأوروبية وبالتحديد القرن 18 و19 حينما بلور عدد من المفكرين والأوروبيين كثيرا من المبادئ التي تحدت الأفكار السلطوية التي امتدت إلى بداية النهضة الأوروبية، ولم تعرف النظرية الليبرالية تفوقا على النظام السلطوي إلا خلال القرن 18 حينما اصدر البرلمان البريطاني قرارا أكد على حضر أي رقابة مسبقة للنشر، مع منح الأفراد حرية إصدار الصحف دون ترخيص من السلطة، إذ أنه في القرن18 و19 بلور المفكرون الأوروبيون كثيرا المبادئ التي تحدد الأفكار السلطوية التي سادت حتى بداية النهضة الأوروبية وكان من أبرزهم المفكر الإنجليزي "جون ميرتون" الذي قال أن حرية النشر بأي واسطة ومن قبل أي شخص مهما كان اتجاهه الفكري حق من الحقوق الطبيعية لجميع البشر، ولا نستطيع ان نقلل من حرية النشر بأي شكل وتحت أي عذر .وهي فلسفة سياسية واقتصادية و اجتماعية تعتمد قيم الحرية ومفاهيمها في الإعلام كما هي 2في السياسة و الاقتصاد، وإ تاحة الفرصة للتقويم الذاتي من خلال الحوار وتبادل الأفكار.ويبدو أن هذه النظرية استلهمت أسسها النظرية من أعمال بعض منظري الليبرالية مثل" جون ميلتون" (القرن17) و " توماس جيفرسون" (القرن18) و"جون ستيورت ميل" حول الحرية، وهي تعتبر أن حرية الصحافة عنصر ضروري لوجود المجتمعات الحرة و التي يجب أن تحرر الصحافة من الرقابة المسبقة وتجعلها مسؤولة فقط أمام القانون عن أنشطتها التي قد تخالف حقوق أو حريات أخرى.

وعموما يمكن أن نحصر ظهور النظرية الليبرالية في ثلاث عوامل رئيسة وهي:

- **العامل السياسي:** الذي جعل من قضية حرية الصحافة مشكل رئيس باعتبارها وسيلة للتعبير عن الرأي العام الذي قد يخالف السلطة.
- **العامل الفلسفي:** حيث انه في سنة 1644 وجّه الفيلسوف الانجليزي **ميرتون** نداء قوي يطالب فيه بحرية التعبير، وصار هذا النداء بعد ذلك مرجعا لكل الفلاسفة والسياسيين، وكان له أثر كبير على الأوساط المختلفة.
- **العامل الاقتصادي**: حيث كانت النهضة الاقتصادية التي عرفتها انجلترا في القرنين 18 و19 مثالا حيا لفائدة الحرية في المجتمع، كما كان يطالب بذلك الفلاسفة خاصة ما نادى به الفيلسوف **ريكاردو** الذي يقول أن حرية العمل شرط أساسي لازدهار النشاط الاقتصادي في المجتمع.

انطلاقا من ذكر هذه العوامل يمكننا ان نحدد المراحل التي مرت بها الليبرالية حيث نجدها قد مرت بأربع مراحل تمثلت في:

- **مرحلة التكوين:** في هذه المرحلة تم التركيز على مفهوم ذات الإنسان باعتباره صاحب الاختيار والمبادرة.
- **مرحلة الاكتمال:** ويتم فيها التركيز على الفرد العاقل المالك لحياته وبدنه وذهنه وعمله، وعلى أساس هذا المفهوم شيد علم الاقتصاد العقلي المخالف للاقتصاد الإقطاعي المتفكك وشيد علم السياسة العقلية المبني على نظرية العقد والمخالف لسياسة الاستبداد.

- **مرحلة الاستقلال:** انطلقت من مفهوم المبادرة الخلاقة من المحافظة على الحقوق الموروثة والاعتماد على التطور البطيء وهو تطور العقل الخيالي إلى الملك الواقعي.
- **مرحلة التقوقع:** وتركز هذه المرحلة على مفهوم المغايرة والاعتراض وترك مسايرة الآراء الغالبة، لأن الخلاف والاعتراض يبعد عن التقليد ويولد الإبداع.

2. مسلمات النظرية الليبرالية:

لقد حدد المفكر الإعلامي السويدي **دينيس ماكويل** العناصر الرئيسة لنظرية الحرية فيما يلي:

- تمتع النشر بالحرية وعدم إخضاعه لرقابة مسبقة؛
- أن مجال النشر والتوزيع يجب أن يكون مفتوحا لأي شخص أو جماعة من دون الحصول على رخصة مسبقة من الحكومة؛
- أن النقد الموجه لأي حكومة أو حزب سياسي...إلخ، يجب أن لا يعاقب عليه الصحفي بعد النشر؛
- عدم فرض أي نوع من القيود على جميع المعلومات ونشرها بالوسائل القانونية؛
- ضرورة تمتع الصحفيين بالاستقلال المهني داخل مؤسساتهم الصحفية؛
- أن احتكار المعرفة في وسيلة إعلامية واحدة أو في عدة وسائل ذات اتجاه واحد يؤدي بالضرورة إلى تحريف الحقائق وتشويهها، في حين أن تعدد مصادر المعرفة بتعدد وسائل الإعلام ذات الاتجاهات المتباينة كفيل بالكشف عن أي تحريف أو تلوين للحقائق؛
- يتركز هدف الإعلام في هذه النظرية على الإخبار والترفيه والترويج لبيع السلع والمشاركة في اكتشاف الحقائق ومراقبة أنشطة الدولة؛
- منع التشهير والإخلال بالقيم الأخلاقية السائدة والأنشطة التخريبية في زمن الحرب.

3. الانتقادات الموجهة للنظام الليبرالي:

- أن الممارسة الإعلامية تحت شعار الحرية أصبحت تُعرض الأخلاق العامة للخطر.
- اقتحام وسائل الإعلام لحياة الأفراد الخاصة.
- انتشار الصحافة وتحولها إلى مؤسسات ضخمة تسيطر عليها مجموعات مالية واقتصادية عملاقة أدى إلى تراجع المنافسة الحرة، إذ أصبح الإعلام يحقق أهداف الأشخاص الذين يمتلكون المؤسسات الإعلامية على حساب مصالح المجتمع.
- مبالغة وسائل الإعلام في الإثارة والتسويق للمادة الإعلامية الرديئة لأجل تحقيق الربح.
- إهمال قيمة جمهور وسائل الإعلام الذي أصبح حسب رأيها يُنظر إليه على أنه مستهلك.